الظواهري : هكذا فجرنا السفارة المصرية في اسلام اباد
(فرسان تحت راية النبي) كتاب المطلوب الثاني في العالم.. يتحدث فيه عن حياته وعن رفاق دربه من الافغان العرب (الحلقة الأولى)
أيمن الظواهري
اخترنا تفجير السفارة المصرية في باكستان بدلا من الامريكية اواي سفارة غربية تدعم اسرائيل بسبب قلة الامكانيات
لم يرتبط مصير المنشق السعودي اسامة بن لادن بمصير اي انسان آخر, مثلما ارتبط بمصير زعيم تنظيم (الجهاد) المصري الدكتور ايمن الظواهري, حيث كانا وربما ما زالا يعيشان ويتنقلان ويختفيان معا, وهما رجلان اتفقا على ربط قدرهما ومصيرهما معا, والعلاقة بينهما هي علاقة اشبه بعلاقة الجسد بالعقل, فان كان ابن لادن هو المطلوب رقم واحد للولايات المتحدة الامريكية, فان الظواهري هو المطلوب رقم 2 لها, باعتباره اليد اليمنى لابن لادن والعقل المدبر لتفجير السفارتين الامريكيتين في نيروبي ودار السلام في اب 1998.
وعلى الرغم من كل الظروف التي يمر بها منذ اكثر من ثلاثة اشهر, فان الظواهري قام بتهريب مخطوط كتابه الاحدث, الذي حمل عنوان (فرسان تحت راية النبي) من احد كهوف افغانستان بمنطقة قندهار الى مدينة بيشاور الحدودية ثم الى لندن, والذي تقوم صحيفة (الشرق الاوسط) بنشره على حلقات.
الظواهري يعرض في كتابه تاريخه, ويرصد بين صفحاته وقائع عاشها, بدءا من التحاقه باول خلية جهادية في القاهرة سنة 1966 اي قبل اكماله السادسة عشرة من العمر (الظواهري من مواليد 1951), مرورا باحداث هزت مسقط رأسه مصر والعالم, من بينها اغتيال الرئيس السادات في حادثة المنصة الشهيرة, وانتهاء بما جرى ويجري على الساحة الافغانية, طارحا وجهة نظره في بعض القضايا التي اثيرت طوال رحلته.
والكتاب المعنون بـ(فرسان تحت راية النبي) يتكون من ثلاثة اجزاء ويحمل عنوانا فرعيا اخر هو (تأملات في الحركة الجهادية), مع ملاحظة ان تسمية الكتاب هي رد

على التسمية التي شاعت في القرون الوسطى لـ(فرسان القبر المقدس) ابان الحروب الصليبية في بلاد الشام.
(الحدث) ومن موقع حرصها على ان تكون صفحات ومعلومات هذا الكتاب في متناول الشارع الاردني ستقوم بنشر اهم ما جاء في كتاب الظواهري, الذي يحكي عن مفاصل مهمة من حياته ورفاق دربه من (الافغان العرب) واسباب عداء الحركات الاسلامية للولايات المتحدة الامريكية.

يقول الظواهري: يهمني ان اجيب على اسئلة ثلاثة عن هذا الكتاب من كتبه؟ ولماذا كتبه؟ ولمن كتبه؟ اما من كتبه فيقول الظواهري عن نفسه:"هو رجل يزعم انه ينتمي الى المجاهدين بصلة, ويقترب منهم بوشيجة, ويرجو ان يقضي ما بقي من عمره في خدمة قضية الاسلام, في معركته الضروس ضد طواغيت الحملة الصليبية الجديدة". وقد كتبه وهو مطارد مطلوب. اما لماذا كتب هذا الكتاب؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات؟ وما الفائدة التي تجنى من قراءته؟ وماذا يمكن ان يضيف الى سيل الكتب المتدفقة كل يوم؟ فالجواب: ان هذا الكتاب قد كتب في محاولة لاحياء وعي الامة المسلمة بدورها وواجبها, وما يفترض علىها واهميتها, ومدى عداء الصليبيين الجدد لها وضرورة تفهمها للفيصل بين اعدائها واوليائها. ويضيف الظواهري "علىنا ان نعترف ان هذه المحاولات نجحت في اختراق صفوفنا, وانها اجتذبت عددا من الاسماء اللامعة بيننا, فاضافها اعداؤنا الى ما لديهم من حشود مسخرة لخدمتهم, من كتاب التزييف وتجار المبادئ وبائعي الفتاوى". وفي مقدمة الكتب يستشرف الظواهري احداث 11 سبتمبر (ايلول) الماضي, وما تبعها من غارات على افغانستان فيقول: "هذا الكتاب كتب نذيرا لقوى الشر المتربصة بهذه الامة, ونقول لكم ان الامة تقترب من هزيمتكم يوما بعد يوم, وتوشك على استيفاء قصاصها منكم, خطوة بعد خطوة, وان معركتكم معها محكوم علىكم بالهزيمة فيها, وان كل محاولاتكم لا تعدو ان تكون محاولات لتأخير نصر الامة, لا لمنع هذا النصر".

ويصف الظواهري هذه المرحلة بانها "عالمية المعركة, بعد ان توحدت قوى الكفر ضد فئات المجاهدين".
ويقول "ان المعركة اليوم لا يمكن ان تخاض اقليمية دون النظر الى العداء العالمي ... "أردت بهذا الكتاب ان اوضح بعضا من معالم هذه الملحمة الدائرة, وان انبه قراء الكتاب الى الاعداء المتوارين والظاهرين, ذئابهم وثعالبهم, حتى لا ينتهبهم قطاع الطريق". ويصف الظواهري كوادر التنظيمات الاصولية وربما كان يشير خصوصا الى الافغان العرب بقوله: "يتمتعون بميزة لا يطمع اعداؤهم في ان يتمتعوا بها, فهم اكثر الناس شهودا لقدرة ربهم الذي اعانهم بقوته, حتى تحولوا من شتات لا يملك الا يسيرا , ولا يعلم الا قليلا , الى قوة مرهوبة , تهدد استقرار النظام العالمي الجديد".
ويقول الظواهري : "لقد كتبت هذا الكتاب ايضا اداء للامانة الى جيلنا والاجيال التي تليه, فلعلي لا اتمكن من الكتابة, بعد ذلك في وسط هذه الظروف القلقة والاحوال المتقلبة, كما قال المتنبي: غريب من الخلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد" اما لمن كتب هذا الكتاب ? يقول الظواهري: "هذا الكتاب كتبته لتقرأه طائفتان, الاولى هي الشريحة المثقفة. والثانية هي الفئة المجاهدة, ولذا فقد حرصت ان اكون واضحا وبسيطا في كتابتي بعيدا عن اساليب المتخصصين واستدلالاتهم". ويقول الظواهري "انه لم يستطع ان يجمع كثيرا من الوثائق والاسانيد الضرورية لهذا النوع من الكتابة التحليلية, بسبب افتقاد الكاتب للاستقرار الذي يعيشه في افغانستان, بالاضافة الى ان الكاتب لا يملك الا شهادته التي لا يستطيع ان يقدمها مفصلة لان الكثير من ابطالها ما زالوا في خضم المعركة وكثير من احداثها لا زالت تتفاعل في الميدان". ويصف الظواهري نفسه في الكتاب قبل ان يختتم المقدمة: "بانه مهاجر مطارد يشد على ايدي المهاجرين والمجاهدين ويشحذ من عزمهم , ويذكرهم برحمة الله الواسعة".
ويقول زعيم "الجهاد" ان تسمية الافغان العرب مغرضة, لانهم لم يكونوا عربا فقط, بل مجاهدين من ارجاء العالم الاسلامي كافة, وان كان العرب عنصرا متميزا. ويضيف ان "هؤلاء الشباب احيوا فريضة طالما

حرمت منها الامة, بالقتال في افغانستان وكشمير والبوسنة والشيشان". ويقول: "في معسكرات التدريب وجبهات القتال ضد الروس تكون لدى الشباب المسلم وعي واسع وادراك اعمق بالمؤامرة المحاكة, وفهم شرعي تجاه اعداء الاسلام والخارجين وعملائهم". ويمضي قائلا: "بالطبع لم يكن النظام العالمي ليقبل بوجود هذه الظاهرة المتنامية من الافغان العرب المتمردة عليه المهددة لوجوده, بعد ان بذل الاحتلال الغربي والشيوعي جهودا متواصلة على مدى قرابة قرن من الزمان لاخضاع الشعوب المسلمة بالانظمة والقوانين والانتخابات المزورة, وحالات الطوارئ وقوانين الهجرة والجنسية". ويشير الى ان رد الفعل ضد الافغان العرب بدأ بطردهم من باكستان من بداية التسعينات, وبلغ اوجه عام 1992 ويقول "لسخرية القدر فان حكومة باكستان العلمانية طردت من دافع عن حدودها الى المجهول". وعلى الجانب الافغاني من منفذ طورخم الحدودي بين باكستان وافغانستان توجد مقبرة تحوي رفات اكثر من مائة من المجاهدين العرب في افغانستان, تقف دليلا على موقف الحكومة الباكستانية ضد من دافع عن حدودها ضد التهديد الشيوعي". ويذكر الظواهري: "اما الان فقد تشتت جمع الافغان العرب في اصقاع المعمورة ما بين لاجئ او مهاجر او متخف او اسير او قتيل او مقاتل حمل سلاحه لجبهة اخرى من ثغور الاسلام, او يائس يحاول ان ينخرط في حياة الناس العادية, بعد ان رأى شراسة العداء, وشدة المطاردة ضد المجاهدين". ويقول: ان الاعلام العربي والغربي مسؤول عن تشويه صورة الافغان العرب بتصويرهم في صورة انصاف المجانين المهووسين الذين تمردوا على اميركا التي دربتهم ومولتهم من قبل. وزاد ترديد هذه الفرية بعد العودة الثانية للأفغان العرب الى افغانستان في النصف الثاني من التسعينات بعد تفجير سفارتي الولايات المتحدة في نيروبي ودار السلام.

خاض الشباب المسلم في افغانستان معركة تحرير الارض المسلمة تحت شعارات اسلامية خالصة, وهو امر في غاية الخطورة, اذ ان كثيرا من معارك التحرير التي

جرت على ارض عالمنا الاسلامي اختلطت فيها شعارات القومية الوطنية بالاسلام بل واحيانا بشعارات اليسار والشيوعية, مما احدث لدى الشباب المسلم انفصاما بين عقيدته الجهادية الاسلامية التي يجب ان تقوم على اساس اخلاص الدين لله, وبين تطبيقها الواقعي, وقضية فلسطين خير مثال على ذلك حيث اختلطت فيها الشعارات والعقائد تحت شعار التحالف مع الشيطان من اجل تحرير فلسطين, فتحالفوا مع الشيطان وخسروا فلسطين.

ويقول الظواهري "الامر الآخر الهام هو ان هذه المعارك التي تعلوها رايات غير اسلامية او رايات مختلطة قد اضاعت الحدود الفاصلة بين الاولياء والاعداء في منظور الشباب المسلم, فأصبح العدو مشكوكا فيه, أهو العدو الخارجي الذي يحتل ارض المسلمين, ام هو العدو الداخلي الذي يمنع الحكم بالاسلام, ويبطش بالمسلمين, وينشر الفجور والانحلال تحت شعارات التقدم والحرية والقومية والتحرير, سائقا الاوطان الى هاوية الدمار الداخلي والاستسلام للعدو الخارجي, كما هو حال معظم بلادنا في ظل النظام العالمي الجديد).

القتال ضد الروس اما في افغانستان فقد كانت الصورة واضحة جدا: شعب مسلم يجاهد تحت راية الاسلام, وعدو خارجي معتد كافر يسانده نظام داخلي مرتد فاسد, لذا كان انطباق النظرية على الواقع واضحا وجليا.

وهذا الوضوح افاد ايضا في دحض شبهات كثير من المتصدرين للعمل الاسلامي الهاربين من ساحة الجهاد بحجة غياب الساحة التي يتميز فيها المسلمون عن اعدائهم.

كما كانت اهمية معارك الجهاد في افغانستان انها حطمت وهم (القوة العظمى) في اذهان الشباب المسلم المجاهد, فالاتحاد السوفياتي - وهو القوة العظمى صاحبة اكبر قوة برية في العالم - تحطم وفرت فلوله هاربة من افغانستان امام اعين الشباب المسلم وبمشاركته.

فكان ذلك الجهاد دورة تدريبية في غاية الخطورة لاعداد الشباب المسلم المجاهد لخوض معركته المنتظرة مع القوة العظمى التي تفردت بزعامة العالم الآن.. اميركا.
كما وفرت مشاركة الشباب المسلم المجاهد - من العرب والباكستانيين والاتراك ومسلمي وسط آسيا وشرقها وغيرهم - فرصة كبيرة لتعارف الشباب المسلم من مختلف ارجاء العالم الاسلامي على ساحة الجهاد الافغاني, وعبر زمالة السلاح الموجه ضد اعداء الاسلام.

وهكذا تعارف الشباب المجاهد والحركات الجهادية مع بعضها البعض تعارفا وثيقا وتبادلوا الخبرات وتفهموا مشاكل اخوانهم.
واذا كانت اميركا قد دعمت باكستان وفصائل المجاهدين بالاموال والعتاد, فان علاقة الشباب العربي المجاهد بأميركا كانت على النقيض تماما.
بل ان وجود هؤلاء الشباب الافغان من العرب ونموهم وازدياد عددهم مثل اخفاقا للسياسة الاميركية ودليلا متجددا على الغباء السياسي الاميركي الشهير. لقد كان تمويل نشاط المجاهدين العرب في افغانستان يأتي عبر الدعم الشعبي لافغانستان وكان دعما لا يستهان به.
ولم يتكفل المجاهدون العرب بتمويل انفسهم فقط, بل حملوا ايضا تبرعات المسلمين الى المجاهدين والمهاجرين الافغان.
وقد اخبرني اسامة بن لادن بقدر الدعم الشعبي العربي للمجاهدين الافغان الذي نما الى علمه - في الجانب العسكري فقط - بمائتي مليون دولار على مدى عشر سنوات. فما بالك بالدعم الشعبي في المجالات غير العسكرية مثل الجانب الطبي والصحي والتعليمي والحرفي والغذائي والاجتماعي (مثل كفالات الايتام والارامل والمعوقين), ناهيك عن التبرعات التي كانت تأتي في المواسم مثل العيدين ورمضان.. الخ.
وعبر هذا الدعم الشعبي غير الرسمي اقام المجاهدون العرب مراكز التدريب والدعوة وانشأوا الجبهات التي دربت واعدت وجهزت الآلاف من المجاهدين العرب, ووفروا لهم الاعاشة والسكن والسفر والتنظيم.

تغيير حراسة بن لادن وعن علاقة الافغان العرب باميركا, يقول الظواهري في كتابه: واذا كان المجاهدون العرب مرتزقة لاميركا تمردوا عليها كما تفتري؟ فلماذا تعجز الان عن شرائهم مرة اخرى؟ ألا يعدون الآن - وعلى رأسهم اسامة بن لادن - الخطر الاول الذي يهدد مصالح اميركا؟ أليس شراؤهم اوفر واقل كلفة من ميزانيات الامن والوقاية الخرافية التي تنفقها اميركا دفاعا عن نفسها ضدهم؟ ان الاميركان بطريقتهم المعهودة في التضخيم والمبالغة والسطحية في التناول يحاولون بيع الوهم للناس, قافزين فوق ابسط الحقائق. هل يمكن ان يكون اسامة بن لادن الذي نادى في محاضراته عام 1987 بضرورة مقاطعة البضائع الاميركية تأييدا للانتفاضة في فلسطين, عميلا للاميركان في افغانستان؟ واذكر يومها انه زارنا في مستشفى الهلال الكويتي في بيشاور وحدثنا عن هذه المحاضرات, واذكر اني قلت له: منذ الآن يجب ان تغير طريقة حراستك ونظام امنك, فان رأسك منذ الآن اصبح مطلوبا من الاميركان واليهود وليس من الشيوعيين والروس فقط, فأنت الآن تضرب الافعى على رأسها.

وهل يمكن ان يكون الشهيد - كما نحسبه - عبد الله عزام عميلا لاميركا, وهو الذي لم يكل عن تحريض الشباب ضدها ودعم حركة "حماس" بكل ما يملك؟ وهل يمكن ان تكون الحركة الجهادية في مصر عميلة للاميركان وقد قتل خالد الاسلامبولي ورفاقه أنور السادات, قبل نشوء ظاهرة المجاهدين العرب في افغانستان؟ وهل يمكن ان تكون الحركة الجهادية في مصر عميلة لاميركا, وهي تربي ابناءها منذ نشأتها على رفض اسرائيل وكل اتفاقيات الاستسلام لها وتعتبر ان الصلح معها متناقض مع شريعة الاسلام؟ ان اميركا فوجئت بأن طبختها في افغانستان قد افسدها عليها "الافغان العرب" وأهل الصدق من المجاهدين الافغان. لقد أرادتها اميركا حربا بالوكالة ضد روسيا, فحولها المجاهدون العرب - بفضل الله - الى دعوة لاحياء الفريضة الغائبة, الجهاد في سبيل الله.

ولذلك تنبهت اميركا لهذا الخطر في البوسنة, فكان الشرط الاول قبل تطبيق اتفاقية دايتون هو طرد المجاهدين العرب من البوسنة.
لقد كانت خطورة وجود الشباب المسلم - وخاصة العربي - في ساحة الجهاد الافغاني هي في تحويل قضية افغانستان من قضية اقليمية محلية الى قضية اسلامية عالمية تشارك فيها الامة كلها.
لماذا فجرنا السفارة المصرية في باكستان؟ يقدم ايمن الظواهري في كتابه اول رواية مباشرة عن عملية تفجير السفارة في اسلام اباد. فبعد حملة مطاردة المجاهدين العرب في باكستان, بدأت الحكومة المصرية تستأسد في باكستان, مستندة الى الدعم الذي تقدمه لها الولايات المتحدة بنفوذها القوي لدى الحكومة الباكستانية وذلك لان علاقة الحكومة المصرية كانت - منذ الخمسينات - سيئة مع الحكومة الباكستانية بسبب موقف الحكومة المصرية المساند للهند في قضية كشمير, واعتبار الحكومة المصرية - منذ عهد عبد الناصر - كشمير مشكلة داخلية هندية.
وبدأت الحكومة المصرية في تعقب من تبقى من العرب والمصريين خاصة في باكستان, ووصل الامر الى ترحيل احد الطلاب المقيمين قانونيا من الجامعة الاسلامية في اسلام اباد, ثم القبض على مصريين يحملان الجنسية الباكستانية لزواجهما من باكستانيتين, ووصل استسلام الحكومة الباكستانية لدرجة انها سلمت الشخصين الحاصلين على الجنسية الباكستانية الى الحكومة المصرية اثناء نظر القضاء في تظلمهما, من دون اعتبار للدور او القانون الباكستاني.

كما ان توسيع الحكومة المصرية لحملتها المعادية للأصوليين في مصر ونقلها المعركة الى خارجها كان لا بد له من رد.
ولذا قررنا ان يكون الرد منصبا على هدف يؤلم هذا التحالف الخبيث.
وبعد الدراسة تقرر تشكيل مجموعة للرد وكلفت بالاهداف التالية: اولا: ضرب السفارة الاميركية في اسلام اباد, فان لم يتيسر فليضرب احد الاهداف الاميركية في باكستان, فان لم يتيسر فلتضرب سفارة

دولة غربية مشهورة بعدائها التاريخي للمسلمين, فان لم يتيسر فلتضرب السفارة المصرية.
وبعد الاستطلاع المكثف والمفصل تبين ان ضرب السفارة الاميركية فوق امكانات المجموعة المكلفة, وتم استطلاع احد الاهداف الاميركية في اسلام اباد, فتبين ان به عددا قليلا جدا من الموظفين الاميركان, وان الاصابات ستلحق معظمها بالباكستانيين.
كذلك تبين ان ضرب السفارة الغربية الاخرى فوق امكانات المجموعة المكلفة. وهكذا استقر الامر على ضرب السفارة المصرية في اسلام اباد التي لم تكن فقط تدير حملة المطاردة للعرب في باكستان, بل كانت ايضا تقوم بدور تجسسي خطير على المجاهدين العرب, بالاضافة الى ما اكتشفته اجهزة الامن الباكستانية في مباني السفارة المدمرة من وثائق تكشف عن التعاون الهندي - المصري في مجال التجسس.
وقبيل التفجير ارسلت المجموعة المنفذة تخبرنا عن امكانها القيام بضرب السفارة الاميركية والمصرية معا اذا دبرنا لها مبلغا اضافيا, ولكن كنا قد قدمنا ما معنا ولم نكن نستطيع تدبير المزيد. وهكذا ركزت المجموعة على نسف السفارة المصرية, وتركت خرائب السفارة رسالة بليغة المعنى واضحة البيان.